



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف. ميلة

قسم اللغة والأدب العربي

معهد الآداب واللغات

المرجع :

الالتفات في سورة الكهف

دراسة بلاغية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: لغة عربية

إشراف الأستاذ:

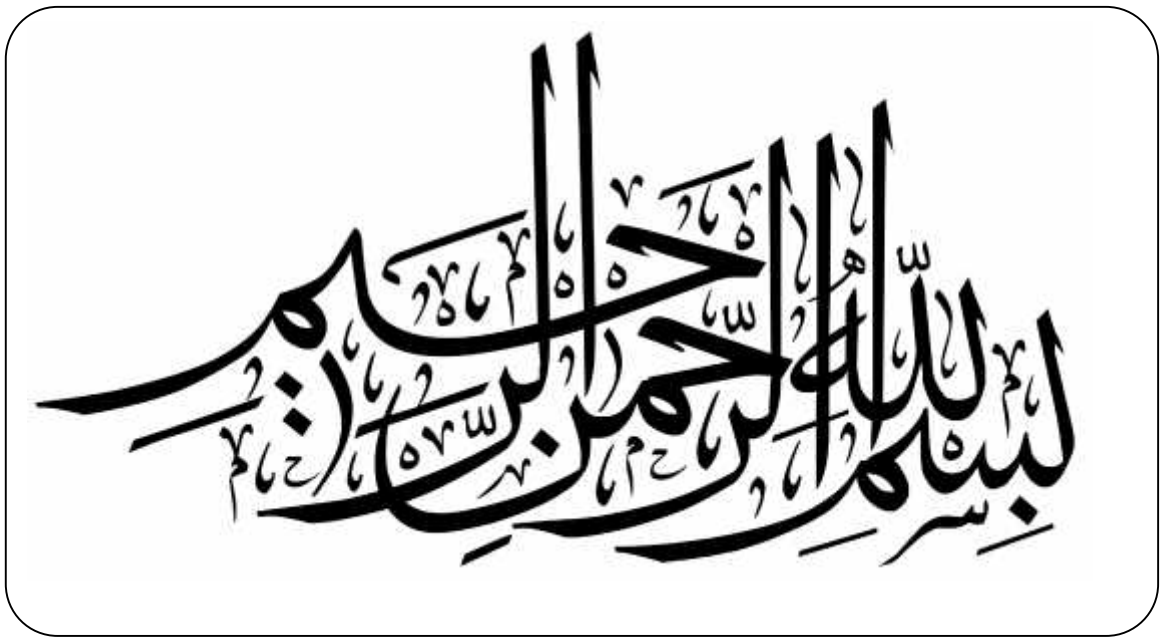
سليم مزهود

إعداد الطالبين:

- معاد بولفوس

- محمد المنتصر ميموني

السنة الجامعية: 2015/2016م



دعاء

اللهم وفقنا إلى سعادة الدنيا والآخرة

شكر وتقدير

نشكر أساتذتنا الفاضل سليم مزهود

على ما ينزله من جهود

في سبيل تعبير طريق العلم لنا

وله من كل المحبة والتقدير العظيم

معاذ ومحمد

إهداء

إلى الوالدتين الغاليتين

إلى أصدقائنا المخلصين

إلى أساتذنا المتسرف

فهنيئاً لهذا العمل

مقدمة

● مقدمة:

جعل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم معجزة رسوله الكبرى والحجة الدائمة على الخلق أعجز بفصاحته البلغاء وأبكمت بلاغته العرب، كتابٌ لا تفنى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد ولا يشبعُ منه العلماء من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، انبهر به الناس عربا وعجما وأقبلوا على دراسته آناء الليل وأطراف النهار فألفت في علومه المختلفة المؤلفات، فألف العلماء في إعجازه وأمثاله وتفسيره وتشبيهاته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وكل ذلك دليلٌ على إعجازه.

والالتفات من أبرز المواضيع التي تناولها علماء اللغة في كتبهم وأولوه مزيدا من الاهتمام لما له من أهمية في البلاغة العربية عموما، والبلاغة القرآنية خصوصا.

والسؤال المطروح فيم تتمثل بلاغة الالتفات في سورة الكهف؟

للإجابة عن هذا السؤال اقتضى البحث أن يوظف المنهج التحليلي والوصفي، وفق خطة بحث تضمنت مقدمة وفصلين وخاتمة، أما الفصل الأول فتناولنا فيها ماهية الالتفات في القرآن الكريم، وأما الفصل الثاني فتناولنا فيه بلاغة الالتفات في سورة الكهف.

وأبرز الصعوبات التي صادفتنا تمثلت في التنقل بين المكتبات للحصول على المادة الخام وتحليلها.

في الأخير نجدد شكرنا إلى أستاذنا المشرف سليم مزهود على تشريفه لنا بإشرافه علينا.



الفصل الأول؛

الانتفاخ في القراءة الكريم

المبحث الأول: تعريف الالتفات وبيان أقسامه

لغة:

من الفعل لف وقد جاء في لسان العرب «لفت وجهه عن القوم : صرفه، والتفت التفاتا، والتلفت أكثر منه وتلفت إلى الشيء، وتلفت إليه صرف وجهه إليه... قوله تعالى: "ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك" . أمر تبارك وتعالى بعدم الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من عذاب وفي الحديث في صفته صلى الله عليه وسلم : فإذا التفت إليه جميعا، أراد أن لا يسرق النظر، وقيل أراد لا يلوي عنه ويمينة ويسرة إذا نظر إلى الشيء»⁽¹⁾.

الالتفات: «بالفاء عند أهل المعاني، يطلق على معاني منها: الاعتراض وقد سبق، ومنها تعقيب الكلام بجملة مستقلة متلاقية له في المعنى على طريق المثل أو الدعاء ونحوهما من المدح والذم والتأكيد والالتماس⁽²⁾. كقوله تعالى «قالوا أجننتا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا» أي: لتصرفنا عما وجدنا آباءنا من المعتقدات والأفعال»

اصطلاحا:

الالتفات هو الانتقال من أسلوب إلى أسلوب هذا عند البلاغيين، فالالتفات عند السكاكي الذي قال فيه «هذا غير مختص بالمسند إليه، ولا بهذا القدر بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقا، تنتقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتا والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التغير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريقة آخر منها أخص من تفسير السكاكي، لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريقة من هذه الطرق يعبر

(1) - ابن منظور، لسان العرب، دار الصبح بيروت لبنان، ج12، ص291.

(2) - التهانوي: محمد علي، موسوعة كشاف، اصطلاحات الفنون والعلوم، مراجعة رفيع العجم، تح، علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1969، ج1، ص:251.

عنه بغيره، أو كان مقتضى الظاهرة، أن يعبر عنه بغيره منها، فكان التفات عندهم التفات عنده من غير عكس»⁽¹⁾.

ويعرفه الخليفة العباسي عبد بن المعتز في كتاب البديع «هو انصراف المتكلم عن المخاطب إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة ويشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر قال عز وجل «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة»⁽²⁾. [يونس-22-]

وفي تعريف ابن المعتز هذا يكون الالتفات عنده يشمل شيئين: أولهما: ما عرف بالالتفات عند المتأخرين - والثاني: نوع من الاعتراض⁽³⁾.

ومفهوم الالتفات عند ابن الأثير: «وحقيقة مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، كذلك يكون هذا النوع من الكلام من الكلام خاصة، لأنه ينتقل من صيغة إلى صيغة أخرى كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضي إلى مستقبل إلى ماضي أو غير ذلك»⁽⁴⁾

يعرفه كذلك: «خلاصة علم البيان التي حولها يدندن وإليها تستند البلاغة وعنها يعنعن»⁽⁵⁾.

ولعل بن الأثير لهذا النوع من التراكيب يزيد القضية جلاءً ووضوحاً.

(1) - الصعدي: عبد المتعالى، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، مطبعتها، بالجماميزت، ج1، ص: 151-152-153.

(2) - طبل حسن: المرجع السابق، ص: 16

(3) - المراغي: محمد حسن: في البلاغة العربية، علم البديع دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411، 1991، ص: 104.

(4) - المرجع نفسه، ص: 106.

(5) - العيل توفيق: بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، جامعة قطر، مكتبة الآداب، القاهرة، ص: 279.

فسر قدامه بن جعفر الالتفات بأنه : هو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيعترضه إما الشك فيه أو ظن راداً يردّه عليه ، أو سائلاً يسأله عن سببه فيلنقت إليه بعد فراغه منه ، فإما أن يتحلّى الشك منه ، أو يؤكده أو يذكر سببه⁽¹⁾.

أنواع الالتفات:

ينقسم الالتفات إلى ستة أقسام ، وذلك لأن العرب يستكثرون منه وهو سهل السامع تقبلاً ، وتتلخص هذه الأقسام في :

القسم الأول : الالتفات من التكلم للخطاب:⁽²⁾.

وذلك في قوله تعالى « وَمَالِي لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » [يس- 22-]

أي أن الإنسان يعبد الله عز وجل وحده لا شريك له دون غيره فيجازيه عن أعماله يوم المعاد سواء خيراً أم شراً .

- وهنا نجد الالتفات، ينتقل من المتكلم (وَمَالِي لَأَعْبُدُ) إلى المخاطب (تُرْجَعُونَ).

القسم الثاني : الالتفات من التكلم إلى الغائب:⁽³⁾.

قال تعال : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » [الكوثر-2،1-]

أي الخير الكثير الذي يعطى يوم القيامة في نهر وهذا النهر يعرف " بالكوثر" ، حيث خص هذا الخير بالعبادة والذكر وذلك لشكر الله عز وجل على ما أعطاهم إياه .

(¹) - المصري: ابن أبي الأصبع، تحرير التحيير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح، حنفي محمد شرف، كتاب 2، ص: 123.

(²) - الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، ص: 170.

(³) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والالتفات يكون في الانتقال من التكلم في عبارة (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) إِلَى الغائب في قوله:
(فَصَلِّ لِرَبِّكَ) وَأصلها: صل لي.

القسم الثالث: التفات من الخطاب إلى التكلم: (1).

في قوله عز وجل « أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ » [المك-17-] .

أي أنه يرسل على عباده من السماء ريحا شديدة تحمل الحصى وهذا عقاباً على من يكذب على الله .

- وينتقل هنا من الخطاب وذلك في عبارة (أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ) إِلَى المتكلم في عبارة (نذير)، حيث أن ياء المتكلم جاء محذوفة ، والأصل في نذير هو (تنذيري) .

القسم الرابع : الالتفات من الغيبة إلى التكلم: (2).

قال الله عز وجل : « أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ » [القيامة -03-]

أي بعد موت الإنسان يكون الله عز وجل قادراً على جمع عظامه من جديد والتي أصبحت رفاتا حتى يكون خلقا جديدا .

وهنا كان يتكلم بصفة الغائب (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ) ثم التكلم (أَلَّنْ نَجْمَعَ)

القسم الخامس؛ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: (3).

قال الله عز وجل « قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمَعَمِنْ الْجِنَّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا » [الجن-01-]

(¹) - الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، ص:171.

(²) - المرجع نفسه، ص:154.

(³) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

أي أن الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن يخبر أمته بأن هناك من الجن من استمعوا إلى القرآن فوجدوه بليغا وفصيحا فأمنوا به وصدقوه .

فوجد الالتفات هنا في الانتقال من الخطاب في قوله (قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ) ثم انتقل إلى الغائب فقوله (فَقَالُوا إِنَّا). .

القسم السادس؛ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:(1).

قال الله « مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » [الفاتحة - 04]

أي أن الله رب العالمين ورب العباد يجازي جميع الخلائق على أعمالهم وأفعالهم، بحيث لا يعبد إلى الله وحده لا شريك له دون غيره ، كما يستعان ويتوكل عليه .

-ونجد الالتفات من الغائب (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) إلى الخطاب (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)

ولا تتجلى أقسام الالتفات في القرآن الكريم فقط، وإنما نجدتها في بعض الأبيات الشعرية لكننا أوردناها في دراساتنا في القرآن الكريم فقط، لأن بحثنا هذا يكمن في دراسة هذه الظاهرة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني؛ أغراض الالتفات:

إن للالتفات أغراضا كثيرة ومتنوعة، فالمتتبع له وخصوصا في القرآن الكريم يجد عدة أغراض تجعل هذه الظاهرة بالغة الأهمية ومن بينها ما يأتي:

1- التعظيم:

التعظيم من شأن المخاطب كقوله تعالى: «الحمد لله رب العالمين [الفاتحة-02]. فاختص الله بالحمد في كلمة (الحمد)، ثم انتقل إلى بيان ربوبيته سبحانه وتعالى حين قال (رب العالمين) ولم يقل (الحمد لك) (2).

(1) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

(2) - قحطان: طاهر عبد العزيز، المرجع السابق، ص:177.

2- المبالغة:

قال الزمخشري في هذا: فإذا قلت: «ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلتُ: المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ... ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح»⁽¹⁾.

وقال عز وجل: «وإذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم» [البقرة-49]

وفي هذا النسق التعبيري نجد غرض المبالغة والذي يكمن في كلمة (نجيناكم) أي من الفعل "نجى".

3- المدح: قال تعالى: « وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » [الروم-39].

فهذا كما يرى الزمخشري « التفات حسن ... فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم مضعفون»⁽²⁾.

4- الاهتمام:

قال تعالى: « ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا، وَزَيَّنَّا الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » [فصلت -11-12]

وجاء الالتفات في هذا المقام بالعدول عن الغيبة إلى التكلم بغية الاهتمام، ومفاد ذلك إن طائفة من الناس غير المتشريعين كانوا يخالون أن النجوم لبست من السماء الدنيا، وليست حفظاً ولا رجوماً، فكان العدول في الكلام لكونه مهما من مهمات الاعتقاد، ولتكذيب الفرقة المدعية لذلك، يقول بن الأثير في ذلك: « والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتفقهين في الدين يعتقدون أن النجوم ليست في السماء الدنيا وإنما ليست حفظاً رجوماً،

(1) - الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفاتيح في علوم البلاغة ص: 178.

(2) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

فلما صار الكلام إلى هنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس، لأنه مهم من مهامات الاعتقاد، وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتمدة بطلانه»⁽¹⁾.

5- التحذير: من خلال استخدام أسلوب الشرط نحو:

قوله عز وجل: « وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا » [الإسراء-08-] فذلك تبغيض له من العودة إلى الفعل أسلافهم وتحذير لهم من سوء العاقبة⁽²⁾.

6- التهديد والتخويف:

لقد جاء الالتفات في مواطن كثيرة في القرآن الكريم لغرض التهديد والتخويف ونجد ذلك في قوله تعالى: «وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ تَبُتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » [التوبة-03]

ويمكن هذا الغرض في قوله (فان تبتتم فهو خير لكم) لأجل التهديد من عدم التوبة

7- التوبيخ والتقريع:

ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا » [مريم -88،89-] .

أي توبيخ الذين يقولون إن الرحمن اتخذوا ولدا (سبحانه) والتقريع عليهم لأنهم أثموا بقولهم هذا .

(1) - الموصلي: بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت لبنان، 1411، 1990، ج2، ص:06

(2) - لافي محمد محمود زقوت، لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2010، ص:137.

8- التتميم:

كقوله تعالى «إنا كنا مرسلين رحمة منا». فالوضع الظاهر وهو (رحمة من ربك) موضع المضمرة للإنذار بأن الربوبية تقتضي الرحمة للمروبيين للقدرة عليهم... ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب موضع المضمرة.

9- التنبيه:

يستعمل أسلوب الانتباه بغية التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس 22). فالأصل هنا أن ينبههم وينصحهم ويتلطف بهم ويظهر لهم أن لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، فالأصل في القول (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) ولما انتهى من تنبيههم التفت إلى قوله: (وإليه ترجعون) وهو الأصل في الكلام.

10- الدلالة على الاختصاص:

نجد هذا الغرض في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر 09).

وفي هذا الاختصاص نجده اختصاص الخالق بفعلي السوق والإحياء إذ انتقل في هذه الآية الكريمة من الغيبة (أرسل) إلى المتكلم "سقناه وأحيينا"، ويقول الزمخشري في سبب هذا العدو أنه: "لما كان سوق السحاب وإحياء الأرض من الدلائل على القدرة الباهرة، قيل: فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه"⁽¹⁾.

11- غرض زيادة الإنكار واللوم:

كقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْغَى (3)﴾ (عبس 01-02-03).

(1)- الزمخشري: جار الله، الكشاف، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ج3، ص:27.

الالتفات هنا من الغيبة في الشطر الأول وهو (أن جاءه الأعمى) إلى الخطاب في الشطر الثاني وهو (وما يدريك) دليل على زيادة الإنكار كمن يشكو إلى الناس جانبا جنى عليه، ثم يقبل على الجاني بالتوبيخ ثم الحجة⁽¹⁾.

12- التسجيل وإقامة الحجة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران-187).

أي: أنه توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن ينوهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكنتموا ذلك وتعرضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم، وعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار﴾⁽²⁾.

نجد هنا أن الالتفات لم يقتصر على فائدة واحدة، بل اشتمل على عدة فوائد تناولها عدد من العلماء والباحثين، حيث بينت هذه الأغراض الجانب الجمالي للالتفات في القرآن الكريم.

(1) - قحطان: طاهر عبد العزيز، المرجع السابق، ص: 177.

(2) - الحافظ بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، 1423هـ، 2003م، ج1، ص: 536.

المبحث الثالث؛ وظيفة الالتفات وفوائده :

إن البلاغيين قد اختلفوا حول مفهوم الالتفات كما اختلفوا أيضا حول وظيفة الالتفات أو بتعبير آخر حول القيمة الفنية التي تتمثل في صوره.

حيث نجد أن الزمخشري أول من بدأ الاهتمام بتلك القيمة والتأصيل النظري لظاهرة الالتفات، وهنا نشير إلى أنه أول من عني ببيانها، وقد سايره فيما ذهب إليه كثير من البلاغيين الذين جاءوا من بعده أمثال: السكاكي والقزويني والعلوي وغيرهم، ورأي الزمخشري والسكاكي مؤداه أن الالتفات يحقق فائدتين وهما:

الأولى عامة- في كل صورة - إمتاع النفس والمتلقي وجذب انتباهه عن طريق التنبؤات أو التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير.

والثانية : خاصة وتتمثل فيما تشيعه كل صورة من تلك الصور _ في سياقها _ من إحياءات ودلالات خاصة⁽¹⁾.

- أما ابن الأثير فيقول: "إن قيمة الالتفات أو الغرض منه لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على المعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تتحصر، وإنما يؤول بها على حسب الموضع الذي ترد فيه⁽²⁾."

إذن ظاهرة الالتفات هي إحدى الظواهر الأسلوبية التي لا مشاحة في إثارتها للمتلقي، ولفت انتباهه بما في بنيتها اللغوية الخاصة من خروج- غير متوقع- عن مألوفه⁽³⁾.

(1) - طبل: حسن، المرجع السابق، ص:166.

(2) - الموصلي: ابن الأثير، المرجع السابق، ص: 4.

(3) - طبل: حسن، المرجع السابق، ص:27.

فوائد الالتفات:

يرى بعض العلماء أن الالتفات مشتمل على غرض رئيس واحد، وهو دفع السامة والملل من جراء استمرار الخطاب على وتيرة واحدة وأسلوب واحد، لأن الكلام المتوالي على ضمير واحد يورث الملل ولا يستساغ.

غير أن هناك كثير من العلماء يجدون أن للالتفات فوائد جمة البلاغة، وقد أحسن الزمخشري بيانها وذلك بقوله: "إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء فيه من إجراءه على أسلوب واحد"⁽¹⁾.

حيث إن هذه الفائدة كبيرة، وذلك أن الكلام إذا كان في أسلوب واحد ولا ينتقل من أسلوب إلى أسلوب، فنجد السامع يمل من هذا ولا يركز ويكون غير مبال، ولكن عند الانتقال من أسلوب إلى آخر نجده يصغي جيدا ويكون مركزا على ما يقال، ذلك أن الانتقال يولد التشويق الذي يؤدي بدوره إلى التأثير في السامع.

ونجد أن الكثير من العلماء ذهبوا لمذهب الزمخشري أمثال: السكاكي والقزويني، وهناك من خالفهم ومن بينهم: ابن الأثير.

إذ جاء في مجلة الدراسات الاجتماعية لجامعة صنعاء-اليمن:- "هذا المفهوم لم يستحسنه ابن الأثير؛ لأن السر البلاغي عنده يتعلق بفائدة بلاغية ليس لها ضابط ولا تحدٍ، ووراء ذلك أسرار بلاغية كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضوع الذي ترد فيه، أو على حسب موقعها في البلاغة"⁽²⁾.

لكن ما أراده الزمخشري يليق بالبلاغة، وهذا ما أكده القزويني في قوله: "واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام، ووجه حسن على ما ذكره الزمخشري"⁽³⁾.

(1) - محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، مكتبة وهبية، القاهرة، ط4، 1416، 1926، ص:260.

(2) - الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ص:167.

(3) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

ولا نجد للالتفات هذه الفائدة البلاغية فقط، بل له فوائد أخرى بلاغية وغير بلاغية لأننا نجد في الشعر والنثر، بل نجده في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة 05). وأيضا في كلام الفصحاء من العرب خاصة في العصور السالفة، ومن فوائده أيضا: التفنن في الكلام بغية تجديد نشاط السامع واتساع مجاري الكلام، وهو هنا لا يكون محصورا في دفع الملل والسأم الناتج عن دوام الأسلوب الواحد، فإذا تغير الأسلوب وتحول السياق فهذا يحمل المخاطب على الانتباه، وفي هذا الصدد يقول الزركشي: "اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر أما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفائه، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية"⁽¹⁾.

ويرد الالتفات قصد المبالغة وفيها يقول الزمخشري: "فإن قلت): ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ (قلت): المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقييح"⁽²⁾.

ويقول عبد الله بن صولة: "إن هذا التغيير في نوع الضمائر مع بقاء الملفت عند واحد لا يتغير، ليس لمجرد الافتتان في الكلام، وليس هو لنظرية السامع وتحديد نشاطه فحسب، وإنما هو كذلك، وربما أساسا" لتوريط" هذا السامع والزج به في القضايا التي يتناولها الخطاب ولجعله طرفا فيها معنيا بها"⁽³⁾.

والقول الجامع لفوائد الالتفات والمقر بها هو قول حسن إسماعيل: "وإن كان له فوائد جلية يقتضيها المقام إلا أنه -أيضا- يثير انتباه السامع ويجدد نشاطه للإصغاء إلى تلك الفوائد فيقبلها في شوق المنتظر، ولهفة المتطلع فتستقر في قلبه وتتمكن منه فظل التمكن"⁽⁴⁾.

(1) - الزركشي: بدر الدين، محمد بن عبد ربه، البرهان في علوم القرآن، ت ح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، -لبنان-، ج3، ص:325.

(2) - الزمخشري: جار الله، المرجع السابق، ص:8.

(3) - بن صولة: عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، ط: 2001م، ص:526.

(4) - عبد الرزاق: حسن اسماعيل، النظم البلاغية في النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية، ط1، 1983م، ص:324.

الفصل الثاني؛

الالتفات في سورة الكهف

الالتفات في سورة الكهف:

المبحث الأول؛ صور من الالتفات:

للالتفات صور منها:

1- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 1-4] فحول الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله: إياك.

2- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِهِمْ﴾ [يونس: الآية 22] فحول الكلام من الخطاب إلى الغيبة بقوله وجرينا بهم.

3- الالتفات من الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: الآية 12] فحول الكلام من الغيبة إلى التكلم في قوله وبعثنا.

4- الالتفات من التكلم إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: 1، 2] فحول الكلام من التكلم إلى الغيبة بقوله: لربك¹

5- الالتفات من التكلم إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 22]، والأصل: وإليه أرجع، فالتفت من التكلم إلى الخطاب.

6- الالتفات من الخطاب إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: 21]، على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب، فالضمير في (قل) للمخاطب، وفي (رسلنا) للمتكلم².

• فوائد الالتفات:

لكل أسلوب من الأساليب البلاغية التي جاءت في القرآن حكم وفوائد عرفها من عرفها وجهلها من جهلها، ولعلنا في هذه الفقرة نقتطف بعض الفوائد للالتفات ومنها:

1- حمل المخاطب على الانتباه لتغيير وجه الأسلوب عليه، لأن الكلام إذا كان على نسق واحد فإن الإنسان ينسجم معه، وربما يغيب فكره؛ وأما إذا جاء الالتفات فكأنه يقرع

1- عبد القادر حسين: فن البلاغة، دار العلم. الرياض.

2- محمد صالح العثيمين الالتفات ، دار العلم الرياض

الذهن ويقول للسامع انتبه¹، لأن الكلام المتوالي على ضمير واحد قد يمل ولأن النفوس تستريح ويتجدد نشاطها إذا انتقل السياق من حال إلى حال وتغير لون الكلام.

2- حمله على التفكير في المعنى، لأن تغيير وجه الأسلوب، يؤدي إلى التفكير في السبب.

3- دفع السامة والملل عنه، لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد، يؤدي إلى الملل غالباً².

4- مراعاة مشاعر المؤمنين والترفق بهم في حال مخاطبتهم في مجال الوعيد والتهديد كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: 281]، فقد ترك الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرِينَهُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22] وكأنه إنما عدل فيه عن الخطاب إلى الغيبة، فقال: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء على قراءة الحسن؛ رفقاً من الله سبحانه بصالحي عباده المطيعين لأمره... فصار كأنه قال: اتقوا أنتم يا مطيعون يوماً يُعَذَّبُ فِيهِ الْعَاصُونَ³.

وهذه الفوائد عامة للالتفات في جميع صوره أما الفوائد الخاصة فتتبعين في كل صورة حسب ما يقتضيه المقام، وسنأتي إن شاء الله على أهم فوائد الالتفات من الغيبة إلى التكلم ضمن سياق بعض آيات القرآن الكريم:

● فوائد الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

وفيما يلي الفوائد المستقاة من استقراء بعض الآيات في القرآن الكريم من حيث المفهوم البلاغي:

1. التنبيه والإيقاظ وتطرية الإصغاء: قد يكون الالتفات من الغيبة إلى التكلم للتنبيه والإيقاظ كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلِهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ [النحل: 51] فالالتفات من الغيبة في قوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿فَأِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ ولم يقل: وهو فارهبوه.

1- تفسير القرآن الكريم الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الفكر، بيروت.

2- ابن جني: المحتسب. ج: 1، ص: 145.

3- الألويسي: روح المعاني. ج: 14، ص: 163.

يقول الألوسي: لأن تخويف الحاضر مواجهة أبلغ من تخويف الغائب سيما بعد وصفه بالوحدة والألوهية المتضمنة للعظمة والقدرة التامة على الانتقام¹، ولتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم وكرر الفعل أي إن كنتم راهبين شيئاً فإياي ارهبوا².

2. إظهار للعناية بالشيء: ومن فوائد الالتفات من الغيبة إلى التكلم إظهار العناية بالأمر المذكور كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 99] فقد انتقل من الغيبة في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾، ولم يقل: فأخرج به.

يقول الشوكاني: وفي ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم إظهاراً للعناية بشأن هذا المخلوق وما ترتب عليه³.

3. التفنن في الأسلوب وإظهار الإعجاز اللغوي: خاصة إذا تواردت ضمائر غيبة ثم أعقبها ضمير التكلم فعندئذ تظهر عظمة الأسلوب وروعة البيان لمن فهم اللغة وتفتحت له ينابيع الفهم والتأمل، كما في قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: 121، 122] فقد انتقل بعد ذكر ثلاث ضمائر غيبة هي على التوالي: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ و﴿اجْتَبَاهُ﴾ و﴿هَدَاهُ﴾.

والحديث عن إبراهيم عليه السلام أي: إبراهيم شاكراً لأنعم الله واجتباؤه الله وهداؤه، ثم انتقل السياق إلى ضمير التكلم فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ ولم يقل: وآتاه، يقول ابن عاشور: وضمير (آتيناه) التفات من الغيبة إلى التكلم تفنناً في الأسلوب لتوالي ثلاثة ضمائر غيبة⁴.

4. تعظيم وتشريف المذكور: ومن فوائد الالتفات من الغيبة إلى التكلم التشريف؛ فتخصيص ذكره عقب الغيبة فيه تشريف له صلى الله عليه وسلم: كما في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: 12]، فقد ذكر الله عز وجل الرسول بصيغة الغيبة فقال: ﴿وَأَطِيعُوا

1- أبو السعود: تفسير أبي مسعود. ج: 5، ص: 119.

2- الشوكاني. فتح القدير 2/ 208.

3- ابن عاشور، الطاهر: التحرير والتنوير، ج: 1، ص: 2410.

4- المرجع نفسه، ج: 1، ص: 4444.

الرَّسُولَ ﴿ثم أعقب الغيبة بإضافته إلى المتكلم فقال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ فالتعريف في قوله: ﴿رَسُولِنَا﴾ بالإضافة لقصد تعظيم شأنه بأنه صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين. وهذا الضمير التفات من الغيبة إلى التكلم يفيد تشريف الرسول بعز الإضافة إلى المتكلم⁽¹⁴⁾.

وجه الإعجاز:

لا حظنا من خلال استعراض بعض الآيات مدى أهمية الالتفات عموماً والالتفات من الغيبة إلى التكلم على وجه الخصوص من حيث البلاغة القرآنية، وأوجه الفائدة المستقاة من بعض الآيات التي ورد فيها الالتفات، كما لا حظنا التعدد في المعاني التي جاء بها الالتفات، ومدى سعة المعاني البلاغية التي حواها القرآن من خلال هذه اللفات البلاغية المنقطعة النظير في ترتيبها وعدوبتها، ومما تقدم نستطيع القول أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام بشر، لأن أعظمهم فصاحة قد عجز عن أن يأتي بمثل سورة من مثله بل آية من مثل آياته، لأنه كلام خالق البشر ومعلمهم، وسبحان الله القائل: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 103].

● المبحث الثاني؛ تفسير سورة الكهف¹:

جاءت هذه القصة في أوانها وفي مكانها، فقد كان المسلمون في مكة يواجهون الأوضاع نفسها التي واجهها الفتية في أوج اضطهادهم، والاستبداد بهم، إنه تشابه غريب بين ما وقع في مكة في بداية الإسلام من اضطهاد للمؤمنين وقسوة عليهم، وتنكيل بهم وبين ما وقع لهؤلاء الفتية أصحاب الكهف من تعذيب وتنكيل وتهديد، وتخويف.

إذاً : كأن قصة أصحاب أهل الكهف جاءت لتخفف الأعباء عن المؤمنين الأوائل جاءت لتسليهم، ولتزيح عنهم الحزن، وكان الفتية يعيشون قبل أن يغادروا بلدهم إلى الكهف في فترة تشبه الفترة التي عاشها المؤمنون، لقد عاش الفتية المؤمنون البيئة والأوضاع، والقسوة، والمحن، والمصائب، والمضايقات نفسها، ولا تصوير أبلغ من تصوير القرآن الكريم.

1- محمد راتب النابلسي: دروس النابلسي، تفسير سورة الكهف.

اَوَاذُرُكُورَا اِذْ اَنْتُمْ قَلِيْلٌ مُّسْتَضْعَفُوْنَ فِى الْاَرْضِ تَخَافُوْنَ اَنْ يَّتَخَفَّكُمْ النَّاسُ فَاَوَاكُمُ وَاَيَّدِكُمْ بِنَصْرِهِ وَّرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ا . (سورة الأنفال: 26)

هكذا كان المؤمنون في بداية عهدهم ، في مكة المكرمة، وكتب السيرة تفيض بقصص الظلم، والقسوة، والتعذيب ، والتكيل ، وتحكي من أخبار محنة سيدنا بلال، وعمار وخباب ، ومصعب وسمية ، الشيء الكثير .

إذاً : كأنّ هذه القصة جاءت بلسماً شافياً لهؤلاء المؤمنين الأوائل الذين لاقوا ما لاقوا وتحملوا ما تحملوا ، وكان صبرهم دليلاً قاطعاً على عظم إيمانهم .

إنه شبه تام بين המתحنيين في مكة ، وبين המתحنيين من أصحاب الكهف ، ولذا قصّ الله عز وجل في هذه الفترة الرهيبة التي يستولي فيها اليأس ، والتشاؤم ، وتزيغ الأبصار ، وتبلغ القلوب الحناجر ، قصة يوسف مع إخوته ، وقصة موسى مع فرعون وقصة فرد مع أمة ونبي مع جماعة ، وقصة أصحاب الكهف ، لأنّ لهذه القصص أهدافاً ترويةً كبيرة جداً .

• نقاط التشابه بين مؤمني مكة وأصحاب الكهف:

هناك شيء آخر في هذه القصة ، وهو نقاط التشابه بين مؤمني مكة في بداية عهد الإسلام وأصحاب الكهف ، إذ إن هناك الإرادة القاهرة التي تنصر المؤمن على الكافر والبر على الفاجر ، والمظلوم على الظالم ، والضعيف على القوي ، والفقير على الغني، بطرق تحار منها العقول وتشدده بها العقول ، ويؤمن بها الكافر ، ويوقن بها المتشكك ، أي إنّ هناك قوة القاهرة ، تنصر الضعيف ، المقهور ، الذليل ، المظلوم ، الفقير، على خصمه القوي العتيد ، الشديد ، هذا وجه التشابه بين قصة أصحاب الكهف ، وهؤلاء المؤمنين الأوائل .

وما أشبه المسلمين في مكة بالفتية المؤمنين الذين لجؤوا إلى الكهف فراراً بدينهم من الفتن ، فبقوا فيه إلى أن قلب الله الليل نهاراً ، وانقرضت الدولة الكافرة المضطهدة لأهل الإيمان والعقيدة ، حينما أفاق أهل الكهف رأوا حياة أخرى، ومجتمعاً آخر، وعلاقات أخرى وكأنّ الذي خافوا منه قد زال عنهم زوالاً نهائياً ، لذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَصَرَّبْنَا عَلَىٰ أَدَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾

كان مجتمعهم مجتمعاً منحرفاً يسود فيه الفجور والخلاعة ، والانهيار في القيم

والانحطاط، الفاجر هو القوي ، والمستقيم هو الضعيف، الفاسق هو الغني، والمُلتزم هو الفقير ، مجتمع فيه ظلم، وانحراف، وقسوة ، وميوعة ، وانحلال ، فيه ما في كل المجتمعات المتفسخة ، هذه هي البيئة التي عاش فيها هؤلاء الفتية أصحاب الكهف، ويبدو أنّ هؤلاء الفتية كانوا من بيوت عظيمة، ومن عليّة القوم ، يعيشون ، ويأكلون ما لُدّ وطاب. ولكن حينما بلغتهم دعوة السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وقعوا في صراع داخلي ، بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين أن يقفوا مع عقولهم وبين أن يقفوا مع شهواتهم ، بين المبدأ والمصلحة ، وبين القيم والحاجات ، نشأ هذا الصراع العنيف في نفوسهم أولاً ، ثم انعكس على مواقفهم ، وعقيدتهم ، وتصرفاتهم ، لذلك شعروا أنهم غرباء عن هذا المجتمع ، ماذا يفعلون ؟ إما أن يعتقدوا عقيدة صحيحة مع الموت، وإما أن يحيوا مع الفساد في العقيدة ، إنه خيار صعب ، ولا مكان لموقف ثالث، إما أن يسايروا ويواكبوا ، ويوافقوا هذا التيار المنحرف ؛ تيار الفسق ، والفجور ، والمجون، والعقيدة الوثنية في عهد الرومان قبل انتشار دعوة السيد المسيح ، وإما أن يقفوا مع الحق الذي آمنوا به وعرفوه ، ويدفعوا ثمنه باهظاً جداً ، والأمر لا يحتمل حالة ثالثة ، فإما أن يكونوا مع الحق ولا حياة مع الحق ، وإما أن يكونوا مع الباطل حيث البجوحة والحياة الرغيدة، هذا تمهيد للحالة النفسية، وللبيئة التي عاش فيها أصحاب الكهف قبل أن يأووا إلى كهفهم. ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾

حينما يلتجئ الإنسان إلى الله عز وجل ، ويلوذ به ، ويحتمي بحماه ، ويستظل بظله حيث لا ظل إلا ظله ، وحينما يخلص له ، ويستقيم على أمره ، ويحبه ، ويحتمي به ، فقد مَلَكَ كُلَّ شَيْءٍ .

ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتي وجدت كل شيء ، وإن فُتِكَ فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء .

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

لا يعرف مضمون هذه الكلمات ، ولا الشعور بها إلا من ذاقها ، وإذا تجلى الله عز وجل على قلب المؤمن شعر أنه مَلَكَ كُلَّ شَيْءٍ ، ولذلك قال أحد العارفين بالله ؛ وهو أبو يزيد البسطامي : " والله لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيوف " .

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

يا رب تولّ أمرنا ، وفقنا لما تحب وترضى ، ونجنا من القوم الظالمين ، وهبئ لنا خلاصاً من هؤلاء ، وهبئ لنا حالة نرتاح بها من هؤلاء الذين يُكروهونا على أن نكون معهم على الوثنية ، والانحراف ، والسقوط . ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾
تغمض العين في أثناء النوم ولكن الأذن تبقى مفتوحة حيث إنها مكان التنبّه الوحيد للصوت ، إذاً : الاستيقاظ يكون عن طريق الأذن .

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾

بعثناهم من هذا النوم الطويل ، وكما نعلم أنّ أصحاب الكهف ليسوا أنبياء ، وما جرى معهم هو خرق للعادات ، وهو أن ينام الإنسان ثلاثمئة سنة ، وهو بكامل هيئته وصحته ، وقوامه ، من دون أن يتلف جسمه ، أو يفنى جسده ، وخرق العادة هذا إن كان لنبي فهو معجزة ، وإن كان لولي فهو كرامة ، وهذا دليل قطعي على وجود الكرامة ، وقد ذكر الله ذلك في حديثه عن أصحاب الكهف فقال :

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾
عليك أن تبادر ، وعلى الله الباقي .

[وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] . (سورة العنكبوت)

عليك أن تخطو الخطوة الأولى ، وأن تختار الهدى ، وأن تفكر ، وتتخذ قراراً في طلب الحق وعلى الله الباقي .

ابن آدم اطلبني تجدني ، إذا تقربت إليّ شبراً تقربت إليك ذراعاً ، وإذا أتيتني مشياً أتيتك هرولة .

إذا رجع العبد العاصي إلى الله عز وجل نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هناؤا فلاناً فقد اصطلح مع الله .

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾

هنا مغزى دقيق جداً ، أي أنك أيضاً أيها المؤمن إذا اتخذت قراراً صحيحاً في طلب الحق فعلى الله الباقي ، فهو يجمعك مع أهل الحق ، ويشرح لك صدرك لطلب الحق ، وهو يوفقك في الدنيا ، ويفرغك للحق ، ويتحقق كل ما تطمح له إذا خطوت الخطوة الأولى ويتولى الله سبحانه وتعالى ما تبقى من خطوات .

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾

قد ينهار الإنسان نفسياً ، فتخور قواه الجسمية نتيجة لذلك ، لكن الله يربط على قلب المؤمن ، ويعطيه العزم ، والسكينة ، والوقار ، والصلابة ، وقوة التحمل فيصبح كجبل راسخ ، بينما أفئدة الكفار :

۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ۝ (سورة الأحزاب : 11)

يُلقي الله في قلب المؤمن السكينة .

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾

هذا هو التوحيد وهذا هو الدين وهذه هي العقيدة الصحيحة ملخص الأديان كلها .

﴿ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾

لو أننا دعونا من دونه إلهاً ، لقد خرجنا عن الحق ، والاعتدال ، وخرجنا عن دائرة

القبول .

﴿ هُوَآءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ

عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾

يجب أن تكون العزلة تامة عن أهل المعصية والفجور ، فإذا كنت في مجتمع فاسد ، ورأيت شحاً مطاعاً ، وهوىً متبَعاً ، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه فالزم بيتك ، وأمسك لسانك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تتكر ، وعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة .

﴿ وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾

أي اعتزلتم عاداتهم ، وتقاليدهم ، وقيمهم ، وأنماط معيشتهم ، ومقاصفهم ومنتزهاتهم وأنديتهم ، وأمكنة احتفالاتهم ، وأنماطهم ، إلا إذا عبدوا الله عز وجل فعندئذ لا ينبغي أن تعتزلوهم .

﴿ فَأَوْوَا إِلَىٰ الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرِيفًا ﴾

المرفق ؛ الشيء الرفيق المريح .

﴿ وَتَرَىٰ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ

وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾

أي دلّهم الله عز وجل على كهف يقع - كما قال المفسرون - في الجهة الشمالية تأتيه الشمس صباحاً مجانية ، فيدخل نورها فقط بدون أشعتها ، وتغيب كذلك عنهم مساءً . إذاً كان الكهف مفتوحاً على الجهة الشمالية ، حيث يأخذ من الشمس نورها وضياءها ، ويتقي منها أشعتها المؤذية ، والكهف واسع، وفيه تهوية جيدة .

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾

لا تدخل الشمس إذا طلعت إلى كهفهم فتزعجهم .

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ يَعْنِي تَقَطَّعَهُمْ ، وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنَ الْكَهْفِ .

﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ الْهُدَى وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾

إذا أنس الله عز وجل من عبد طلباً للهداية فإنه يهديه ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم .

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ الْهُدَى ﴾

المهتدي الوحيد هو الذي عرف الله ، وليس بعده إلا الضلال المبين ، فإما أن تكون على الحق أو أن تكون على الباطل ، ولا يوجد حالة ثالثة ، لأن الحق واحد ، لا يتعدد ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ الْهُدَى وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾

أي إذا استغنى الإنسان عن الله عز وجل ، باختياره فأدار ظهره للدين ، والتفت إلى الدنيا ، فهل في الأرض كلها جهة تهديه ؟ لا والله ، ومن يضل نفسه - بعض المفسرين قالوا ومن يضل نفسه عن الله عز وجل .

﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾

إذا صرف الإنسان نفسه باختياره عن الهدى الإلهي ، وصرف نفسه عن الحق .

﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾

لن تجد أحداً يهديه .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَّلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ
بِالْوَيْدِ لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَأْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾

قال بعض العلماء : " إن أجفانهم بقيت مفتوحة " .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾

نائمون .

﴿ وَنَقَّلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ﴾

من الإعجاز العلمي لهذا الكتاب هذه الآية يقول العلماء : " إذا استلقى الإنسان على فراشه ، فإنَّ وزن جسمه يضغط على الهيكل العظمي ، والهيكل العظمي يضغط على العضلات ضغطاً ثانياً " ، فيسبب هذا الانضغاط انضغاطاً على الشرايين والأوردة التي في هذه المنطقة ، وهذا الانضغاط يسبب ضعفاً في تروية العضلات ، لذلك " تخضر " هذه العضلات كما تقول العامة ، مما يجعل الإنسان يُغيّر استلقائه ، فلوا راقبنا إنساناً نائماً لوجدناه يُغيّر استلقائه ثماني وثلاثين مرة في الليلة الواحدة ، أما الشيء العجيب العجيب ، كيف يغير الإنسان وضعه وهو نائم ؟

قال العلماء : " في الإنسان أماكن مراكز عصبية تتحسس بالضغط ، فإذا تمَّ انضغاط بعض العضلات ، وتحسست هذه المراكز العصبية تعطي إشارة إلى الدماغ ، والإنسان نائم ، أنَّ هناك ضغطاً في الجهة الفلانية ، فيُعطي الدماغ أمراً إلى العضلات لتغيير وضع النوم مما يجعل الإنسان يتقلب بالليلة الواحد من ثماني وثلاثين إلى أربعين مرة ، هذا في الأحوال العادية " .

" أما لو تصورنا إنساناً مصاباً بمرض اسمه السبات ، وهو غياب كُلِّ عن الوعي ، أو إنساناً مصاباً بشلل كامل فهو لا يستطيع مثلاً أن يُحرِّك نفسه ، إنَّ أول علاج لهذه الحالة ، هو التقليل ، لأنَّ الإنسان إذا بقي على وضع واحد فوق ثماني ساعات يبدأ اللحم بالتمزق ، إذ تضعف تروية الدم للنسيج العضلي ، وعندها يتفسخ اللحم ، يُقال لك "

اهترا لحمه " ، ولو نسي أهل المريض المُصاب بسُّبَاتٍ أو شلل أن يقبّوه فإنَّ قطع اللحم تنزع من أطرافه نزعاً ، سمى العلماء هذا المرض قرحة السرير .

العلاج الوحيد لكل إنسان مصاب بالشلل ، أو بالسُّبَاتِ قبل كل علاج هو التقليل فهؤلاء أصحاب الكهف لو ناموا على حالة واحدة ، واستمر نومهم ثلاثمئة عام لا يبقى منهم بعد خمسين عاماً بالتأكيد شيء ، تتفسخ لحومهم ، ويأكلها الدود ، وهم أحياء فكانت هذه الآية من آيات الإعجاز العلمي .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ﴾

فلولا هذا التقليل لما بقوا على ما هم عليه ثلاثمئة عام ، فالإنسان يتقلب في الفراش ثماني وثلاثين مرة في الليلة الواحدة ، في الساعات الثماني التي ينامها ، بفعل المجموعة المعقدة جداً من الأجهزة ، حيث إنّ هناك مراكز عصبية منتشرة في كل أنحاء الجسم تتحسس بالانضغاط ، وهذه المراكز تُعطي معلومات عصبية إلى الدماغ بأنّ هناك في المكان الفلاني انضغاطاً ، والدماغ يرسل أوامره إلى العضلات لتغيير وضع الاستلقاء من أجل أن يبقى الإنسان سليماً معافى ، أما في حالة الشلل والسُّبَاتِ فلا بد من تقليل المريض ، من يقبّ هؤلاء الذين أنامهم الله هذه السنوات الطويلة ؟ إنه الله سبحانه وتعالى

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ ﴾

معهم كلب وفي

﴿ بِأَسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾

الوصيد أي فناء الدار ، أما الوصيد في الكهف ، فهو الفسحة من الكهف .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بِأَسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتُ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾

قال بعض العلماء : " إنّ حالة الإنسان النفسية قد تنتقل للآخرين ، فهؤلاء حينما أروا إلى الكهف كانوا في حالة رعب ، وفزع شديدين ، فكل من اطّلع عليهم امتلأ قلبه رعباً منهم وولى منهم فراراً " .

هناك حكمة بالغة من تقديم الفرار على الرعب ، فقال بعضهم : هذا من قبيل تقديم المسبب على السبب ، أي حين اطّلت عليهم امتلأت منهم رعباً ، فلا تملك إلا أن تولي فراراً منهم .

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَيْكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾

حينما أووا إلى الكهف كان الضغط الاجتماعي ، والقهر ، والاضطهاد ، والتعذيب ، والتقتيل لكل من يؤمن بالسيد المسيح ، لأن الديانة وقتها كانت ديانة وثنية ، تؤمن بالأصنام ، وبإله الجمال (فينوس) ، وإله المطر ، وإله الحرب ، وإله الرياح ، هذه الآلهة التي اتخذتها بعض الأقوام الرومانية كان هذا دين الملك الذي يحكم وقتها هؤلاء الفتية .

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾
توقعوا أنهم ناموا ، ثم استيقظوا ، نوماً طويلاً ، ينام الإنسان في بعض الأيام من الساعة السادسة مساءً إلى الساعة السادسة صباحاً ، فيقول : نمت اثنتي عشرة ساعة .
شعروا أنهم ناموا نوماً طويلاً ، لكنه لا يزيد على يوم أو بعض يوم .
﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَيْكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾
أي كادوا أن يختلفوا ، والموضوع ليس بذي بال .
﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَيْكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾

كان معهم بعض المال ، فبعثوا أحدهم بهذا الورق ، قبل أن نتابع الموضوع هناك إشارة أن الله عز وجل حينما قال :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾

الرقيم هو الحجر الذي دُونَتْ عليه أسماءهم ، أو اسم الوادي ، أو اسم الجبل الذي كانوا فيه ، أو اسم كلبهم ، وجاء في بعض التفاسير ، وأظنه تفسير الرازي إلى أن الرقيم نسخ من الكتاب المقدس من التوراة ، والإنجيل ، أي حينما أوى هؤلاء المؤمنون إلى الكهف أخذوا معهم كتاب ربهم ليقرؤوه ، هذه إشارة أيضاً إلى أن المصحف يجب أن يكون رفيقا للمؤمن .

﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾

في بعض التفاسير أنهم حينما ذهبوا إلى الكهف ، اجتمعوا ، وبدد الله مع الجماعة

وتوجهوا نحو الكهف ، وأخذوا معهم طعاماً وشراباً ، وكتابهم المقدس ، الذي هو زاد المؤمن بقوا يأكلون ، ويشربون في الكهف حتى نفذ طعامهم وشرابهم .

بعثوا الآن ، وهم جائعون .

﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً﴾

المؤمن كالنحلة ، لا يأكل إلا طيباً ، ولا يطعم إلا طيباً .

﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾

استنبط العلماء من هذه الآية أنه ليس للإنسان حق أن يشتري كلَّ الرزق ، وليس للإنسان حق أن يقف أمام البائع ، في بعض الأحيان يقف شخصان أو ثلاثة ، وعند البائع شيء من الفاكهة ، يأتي إنسان ، ويطلب من البائع أن يزن له كلَّ الفاكهة ، وهذا خلاف الأدب ، فهناك أشخاص يفقون معك .

﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾

يأخذ حاجته فقط ، ولا يأخذ كل الرزق ، كلمة من للتبويض ، هذا تعليم وأدب قرآني فإذا كان لك أخ واقف معك عند بائع ، وعنده كمية محدودة فلا تأخذها كلها ، بل خذ حاجتك منها ، ودع لأخيك الباقي .

﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾

رحم الله عبداً سهلاً إذا باع ، سهلاً إذا اشترى ، سهلاً إذا قضى ، سهلاً إذا اقتضى

﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾

طلبوا ممن أرسلوه لشراء الطعام أن يكون لطيفاً ، وأن يتخفى ، وألا يعلن عن شخصيته ، وليأت بهذا الطعام خلسةً ، دون أن يعرف ، ودون أن يعرف الناس أين مقرهم لأنهم مضطهدون ، مستضعفون ، ملاحقون ومعذبون .

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾

هنا قضية بلاغية .

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ﴾

الفاء تفيد الترتيب على التعقيب :

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾

﴿فَلْيَنْظُرْ﴾

فليأت شي جميل انطلق فنظر فأتى بالطعام أعمال مرتبة وفق برنامج زمني أما
آخر الآية :

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾

لماذا لم يقل الله عز وجل : ابعثوا أحدكم فلينظر فليأتكم فليتلطف لا ، فإنه يجب أن
يكون لطيفاً في كل هذه المراحل .

﴿فَلْيَأْتِكُمْ﴾

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾

هي واو لمطلق الجمع أي يجب أن يتلطف حينما يذهب وينظر إلى الطعام وحينما
يشتري ، ويأخذ الطعام ينبغي أن يتلطف أيضاً .

ملحوظة: ورد القول: لماذا لم يقل الله : فلينظر فليأتكم فليتلطف، ولو وضعنا واواً لبطل
الكلام والسؤال، لأن الله قال :

﴿فَلْيَأْتِكُمْ﴾

المراحل الأولى مراحل متتابعة أما التلطف فيجب أن يشمل كل المراحل إذا جاءت

واو العطف :

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾

﴿فَلْيَنْظُرْ﴾

﴿فَلْيَأْتِكُمْ﴾

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾

في كل هذه المراحل .

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾

أي يقتلوكم .

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾

الوثنية .

﴿وَلَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾

لو عدتم إلى ملتهم لَعِشْتُمْ في بحبوحة ونعيم ووجاهة ولكن على حساب عقيدتكم ومبادئكم ودينكم .

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا﴾

ذهب رسولهم الذي أرسلوه لشراء الطعام ، ولكنه حينما أبرز العملة التي معه؛ وهي عملة يعود تاريخها لما قبل ثلاثمئة سنة قوبل باستغراب شديد ، وقالوا له : ما هذه؟ ومن أنت؟ كمن ذهب إلى سوق، وأخرج عملة قديمة جداً، وطلب من البائع أن يبيعه خضاراً وفواكه، سيستغرب البائع ، وسيسأله : من أنت ؟ من أي زمان أنت ؟ لكنه شعر أن الناس طيبون، لا كالذين تركهم هم طيبون، لأن الدين قائم، شعر أن هناك تبديلاً تاريخياً في هذه العودة، هم عرفوه، وتتبعوه، ووصلوا كما تذكر بعض القصص إلى باب الكهف ، وبعد أن دخل قبلهم الكهف ماتوا ، أي أصحاب الكهف جميعاً .

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾

عثر فعل لازم، أما عثر فمتعد، دلّ الله عز وجل عليهم لحكمة بالغة ، لتكون هذه آية أن أيها الناس هؤلاء الذين أخلصوا لي وأحبوني وخافوني واستقاموا على أمري، فأنا أحفظهم، وأحميهم، وأنصرهم على عدوهم وأتجلى على قلوبهم .

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾

والله الذي لا إله إلا هو لزوال الدنيا أهون على الله من أن يخلف وعده معك .

[وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] .

(سورة النور : 55)

۞ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ .

(سورة الحج : 38)

۞ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝۱ (سورة النحل : 97)

۞ وَكَذَٰلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ۞

ولأصحاب الكهف قصة مشهورة في التاريخ ، فحينما لاحقهم الملك الطاغية وعرض عليهم الإيمان بديانته الوثنية، أمهلهم يومين ، لكنهم اختفوا، أين هم ، وكيف اختفوا ؟ لا تزال قصتهم تسير مع الزمن، فلما رأى هؤلاء الناس المسيحيون الذين كانوا يشكون في الآخرة أن الله قد حفظ أصحاب الكهف كل هذه الفترة ، ثم أحياهم ، كان هذا دليلاً على الإيمان باليوم الآخر .

۞ وَكَذَٰلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَئِبُهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۞

ارتأى فريق أن يغلق هذا الكهف نهائياً ، بالإسمنت مثلاً ، والحجارة ، ربهم أعلم بهم رأى فريق آخر أن يبني عليهم مكان للعبادة للتبرك بهم .

۞ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞

هناك سؤال الآن ؟ لماذا لم يقل الله لنا : إن عددهم سبعة ، وانتهى الأمر ، لئلا نبقى في هذه المتاهة ؟ ربنا عز وجل يعرف السر وأخفى ، يعلمهم بالضبط ، ولكنه لم يشأ في هذه القصة أن يعطينا العدد الحقيقي ، وترك هذا الأمر خلافاً ، إذاً ما الحكمة ؟ قال بعضهم: في القصة مغزى ، وفي القصة جزئيات لا تخدم المغزى ، فأنت إذا ذهبت تبحث عن جزئياتها، وعن تفصيلاتها ، وعن عدد أهل الكهف ، وعن كلبهم ، وبعد ذلك يا ترى هل أقاموا عليهم مسجداً ، أم أغلقوا هذا الكهف ، ترك ربنا عز وجل بعض الأشياء مفتوحة غير مغلقة، ولم يعط فيها حكماً جازماً ، ليعلمنا أن القصة لها مغزى، فإن لم تعرف المغزى ، وانهمكت في التفصيلات فقد ابتعدت عن مغزاها ما قيمة عددهم بالنسبة لمغزى هذه القصة ؟ لو كانوا ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة أو ثمانية، المغزى أن هؤلاء الفنية آمنوا بربهم، فزادهم الله هدى، المغزى أن الله عز وجل هو القوة القاهرة التي

تقهر كل شيء، فإذا كنت معه فلا أحد ينالك بالأذى، إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟

المغزى أن تبتعد عن التفصيلات، وعن الجزئيات، وعن العدد، والمكان، بأي مكان؟ في تركيا؟ أم في اليونان؟ أم في مدينة اسمها (طرسوس) كما جاء في بعض التفاسير، أم في الشام عند الكهف هنا، لم يذكر ربنا عز وجل المكان، ولا ذكر الزمان، ولا بت في العدد، ولا أعطى شيئاً قاطعاً في موضوع الكهف، ترك هذه الجزئيات كلها مفتوح لأن الإلحاح على المغزى

﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾

أي لا جدوى من هذه التفصيلات، والجزئيات، وما سكت الله عنه يجب أن تسكت عنه، وابتعد عن المغزى الذي أراده الله من هذه القصة، هذا هو الاتجاه الصحيح، أما الاتجاه إلى التدقيق في التفصيلات، والوقوف عندها والغوص فيها، والغفلة عن المغزى الكبير الذي أراده الله من هذه القصة هو اتجاه خاطئ .

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾

من عدَّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت ، قل : إن شاء الله ، استثنى ، إذا استثنيت فقلت : إن شاء الله فإنَّ كلامك صحيح ، أما إذا قلت : إنني سأفعل ذلك غداً فأنت لا تعرف ما حياة الإنسان ، فهو يصبح في ثانية واحدة من أهل القبور .

﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾

لكن (إن شاء الله) لها معنى عامي ، يعني إذا لم يكن الإنسان جاداً في الدفع يقول: إن شاء الله أعطيك ، وإذا كان غير جاد في الحضور يقول : إن شاء الله سأتي إليك ، فإن شاء الله أسيء استخدامها حتى إنها صارت تعني الإخلاف في الموعد، وعدم الدفع والكذب لا، ليست (إن شاء الله) بهذا المعنى، إذا كنت جازماً كل الجزم، وعاقداً كل العزم على أن تدفع تقول : إن شاء الله .

دُعِيَ أشخاص إلى وليمة فلم يحضروها، وافتهم المنية قبل أن يحضروها، وعقد إنسان العقد على امرأة فوافته المنية قبل الدخول به، وجاء إنسان بشهادة فوافته المنية قبل إبراز المصدقة للجهات المعنية، فالإنسان لا يدري متى يموت .

﴿وَأذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾

قال: يا رب كيف أشكرك؟ قال تذكرني، ولا تنساني، إنك إن ذكرتني شكرتني، وإذا ما نسيتني كفرتني .

﴿وَأذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾

لا ترض بحالك، اسع إلى ترقية حالك، اسع أن يكون غدك أفضل من يومك ، ويومك أفضل من أمسك، المغبون من تساوى يوماه ، من لم يكن في زيادة فهو في نقصان .

﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ *وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾

أيضاً يوجد سؤال؟ لم لم يقل الله عز وجل: ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة وتسع سنوات؟ لا ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً

قال العلماء : " وهذا أيضاً من الإعجاز العلمي في كتاب الله ، ثلاثمئة عام ميلادي تساوي بالضبط ثلاثمئة وتسع سنوات هجرية " ، فرينا عز وجل أعطى المدة على التقويمين الشمسي ، والقمرى .

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ﴾ هذا بالسنة بالشمسية .

﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾

والسنة الشمسية هي مدة دورة الأرض حول الشمس في اثني عشر برجاً فالسنة الشمسية حقيقة، والشهر الشمسي حكمي .

أما بالهجري فبالعكس الشهر القمري هو شهر حقيقي، والسنة القمرية حكمية أي أن السنة القمرية شهر ضرب 12 ، أما السنة الشمسية سنة تقسيم 12 .

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ﴾

وهي في السنوات الميلادية ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾

ذلك على التقويم القمري ، وليس الهجري ، إذ لم يكن وقتها تقويم هجري .

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾

الخاتمة

• الخاتمة:

يعد الالتفات من خصائص الأسلوب العربي، وتقنضي هذه الظاهرة التحول في العبارات الواحدة أو العبارات المتصلة من أسلوب في الكلام إلى آخر مخالفة يقتضيه ظاهر السياق من المواصلة على نحو واحد في الحديث.

وصورة الالتفات أن ينتقل المتكلم مثلا من استعمال ضمير المخاطبة إلى استعمال ضمير الغيبة، وهو لم يتحول عن مخاطبه، وقد سمي اللغويون الالتفات بأسماء مختلفة منها: العدول والانصراف والتلون وغيرهما.

وقسمت فوائد الالتفات إلى: فوائد خاصة، وفوائد عامة، أما الأولى فتأتي حسب ما يقتضيه مقام الخطاب وما يريده المتكلم من تحقيق الأغراض، فمنها قصد المبالغة والتوبيخ والتعظيم، والثانية تأتي حسب التنفن في الأسلوب لتنشيط السامع ودفع الملل والسأم وجريان الأسلوب على نمط واحد.

والقرآن الكريم غني بالالتفات حيث لا تكاد أي سورة أن تخلو منه فهو يؤدي وظائف عدة منها: نظرية نشاط السامع، حيث ورد الكلام على نمط واحد دفع إلى السأم والملل فهذه الوظيفة هنا تضي عنصر التشويق لدى السامع لهذا الموضوع أو الدراسة، وتناولنا فيه التعريف بسورة الكهف وسبب تسميتها ونزولها، متطرقين فيه لاستخراج الأوجه التي يرد فيها الالتفات من هذه الصورة .

كما اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة ظاهرة الالتفات في سورة الكهف

وفي ختام هذا البحث وكما تقتضيه أصول البحث العلمي خاتمة حاولنا فيها الإلمام

بما تناولناه في هذا الموضوع، يتبعه فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

إن هدفنا في هذه الدراسة التي تتدرج ضمن سياق فكري عام هو التنبيه إلى ظاهرة الالتفات من حيث ظاهرة الالتفات من حيث هي ظاهرة بلاغية تؤدي وظائف أدبية ولغوية عدة وأغراض متنوعة.

وختاماً ندعو كل قارئ لهذه المذكرة إلى التكرم علينا بالتنبيه إلى ما يمكن أن يشوبها من النقص، وذلك حاصلًا لا محالة تماشياً مع الطبيعة البشرية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قائمة المصادر والمراجع

• قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

- 1- ابن الأثير الموصلي: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت لبنان، 1411، 1990 ج2
- 2- ابن أبي الأصعب المصري: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حنفي محمد شرف، كتاب2
- 3- الألوسي: روح المعاني. دار الفكر بيروت، ج:14
- 4- التهانوي: محمد علي، موسوعة كشاف، اصطلاحات الفنون والعلوم، مراجعة رفيق العجم، تح، علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1969، ج1
- 5- ابن جني (أبو عثمان): المحتسب. دار الفكر، بيروت، ج:1
- 6- حسين عبد القادر: فن البلاغة، دار العلم. الرياض.
- 7- عبد الرزاق: حسن اسماعيل، النظم البلاغية في النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية، ط1، 1983م
- 8- زقوت لافي محمد محمود ، لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2010،
- 9- الزركشي: بدر الدين، محمد بن عبد ربه، البرهان في علوم القرآن، ت ح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، -لبنان-، ج3
- 10- الزمخشري: جار الله، الكشاف، دار المعرفة ، بيروت- لبنان، ج3
- 11- أبو السعود: تفسير أبي مسعود. دار الفكر، بيروت، ج: 5
- 12- الشوكاني: فتح القدير، دار الفكر، بيروت
- 13- الصعدي: عبد المتعالي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، مطبعتها، بالجماميز، ج1
- 14- ابن صولة: عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، ط: 2001م

- 15- ابن عاشور، الطاهر: التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ج:1
- 16- العثيمين محمد بن صالح: تفسير القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت.
- 17- العيل توفيق: بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، جامعة قطر، مكتبة الآداب، القاهرة
- 18- ابن كثير الحافظ: تفسير القرآن العظيم، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، 1423هـ، 2003م
- 19- المراغي: محمد حسن: في البلاغة العربية، علم البديع دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411، 1991
- 20- ابن منظور: لسان العرب، دار الصبح بيروت لبنان، ج12
- 21- أبو موسى محمد، خصائص التراكيب، مكتبة وهبية، القاهرة، ط4، 1416، 1926
- 22- النابلسي محمد راتب: دروس النابلسي، تفسير سورة الكهف. موقع النابلسي.

الفهرس

• فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع	التبويب
- -	دعاء. شكر وتقدير. وإهداء	- -
أ-ج	• مقدمة.	مقدمة
13-1	• الالتفات في القرآن الكريم	الفصل الأول
2	- تعريف الالتفات وبيان أقسامه	المبحث الأول
6	- أغراض الالتفات	المبحث الثاني
10	- وظيفة الالتفات وفوائده	المبحث الثالث
32-14	• الالتفات في سورة الكهف	الفصل الثاني
15	- صور من الالتفات	المبحث الأول
18	- تفسير سورة الكهف	المبحث الثاني
37-35	• خاتمة البحث.	الخاتمة
40-38	• قائمة المصادر والمراجع.	المصادر والمراجع
42-41	• فهرس الموضوعات.	الفهرس